تحولات مفهوم الهوية من الذاتي إلى المركب:
نحو قراءات متقاطعة من أجل الفهم

الباحث عبد الكبير الوهابي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
مختبر التخصصات البينية في العلوم الاجتماعية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، أكادير
المغرب

الملخص:

يتناول هذا المقال تلك التغيرات والانتقالات الكبرى التي عرفتها مسارات تشكل مفهوم الهوية، فمنذ أن كانت دلالات الهوية محصورة في مقولات الوحدة والثبات والنظام وسلطة المعتقد والإيمان في فترات ما قبل نقلة الحداثة، إلى أن أضحت في عصر النقد والعلوم الإنسانية والاجتماعية بمثابة ظاهرة شديدة التغير والتعدد والتناقض، بفعل التحولات العالمية التي أفرزتها متغيرات العولمة والتطورات التكنولوجية وخصوصيات مجتمعات المعرفة والثقافة الرقمية الجامحة، التي اجتاحت حياة الأفراد الشخصية واليومية وكسرت قواعد الحياة الاجتماعية والمعيارية التي تحدد ممارساته وأفعاله وانتظاراته عادة، وقامت بتأسيس كينونته على جدل هويات متعددة ومتناقضة بدل هوية واحدة ومحددة، أي صار في مجتمع اليوم يعيش ويتعايش بمعاني الهوية المركبة.

الكلمات المفاتيح: الهوية–الهوية المركبة–الحداثة– ما بعد الحداثة–المجتمع المعاصر.

Abstract:

This article deals with the major changes and transitions that occurred in the paths that form the concept of identity, since the meanings of identity were limited to the categories of unity, stability, order, and the authority of belief and faith in the periods before the modernity shift, until it became in the era of criticism, humanities, and social sciences a phenomenon of extreme change, multiplicity, and contradiction. Due to the global transformations produced by the variables of globalization, technological developments, the peculiarities of knowledge societies and the unbridled digital culture, which invaded the personal and daily lives of individuals and broke the rules of social and normative life that usually determine his practices, actions and expectations, and established his being on the dialectic of multiple and contradictory identities instead of one specific identity, that is, he became in Today's society lives and coexists with complex meanings of identity.

Keywords: identity - complex identity - modernity - postmodernism - contemporary society.

مقدمة:

تعتبر موضوعة الهوية من بين الموضوعات الفكرية والإشكالية التي نجد لها صدى في رحاب الفلسفة العميق والشاسع وضمن حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية الفاتنة، بحيث أن خطاب الهوية هو خطاب عابر للتخصصات و المجالات والتيارات المعرفية المتعددة والمختلفة، لكون طبيعة مفهومه الفضفاض والعائم تمكنه من الارتحال بيسر ومرونة من سجل إلى أخر و هو متغير و متجدد باستمرار، فإذا كانت ولادته فلسفية في أبعادها الوجودية و المثالية والمثافيزيقية القديمة، فإن تطورات و تشكيلات هذا الخطاب الهوياتي سوف تكون انتاجات معرفية للعلوم الإنسانية من جهة، وابتكارات منفتحة للدراسات الثقافية فيما بعد من جهة ثانية. فقد تطور مفهوم الهوية وأخذ أبعاد ودلالات متعددة ومختلفة بتطور أطوار التاريخ وتغير أحوال الإنسان وأنماط الشعوب والأمم.

إن مقولة الهوية من بين المشكلات الإنسانية الكبرى التي طرحت على الفلسفة عبر مراحلها الكبرى ومسيرها البارز نحو تحرير الإنسان، ذلك باعتبارها نقطة التقاء الفكر الفلسفي مع مجالات فكرية ومشارب دينية وإيديولوجية أخرى لما لها من أهمية مستمرة في الزمان. كما أنها قضية إشكالية وتاريخية كلاسيكية تتجدد بدوافع التغيرات والتحولات التي يعرفها الإنسان والمجتمع والعالم عبر التاريخ، وستعرف منعطفها العلمي إبان العصر الحديث عندما ستصطدم ببدايات عهد الالة ونشأة التقنيات الحديثة، التي ستكون لها اثار وانعكاسات عديدة على خصوصيات الشعوب وثقافة الأمم ورغبات الأفراد أساسا، تمهيدا للعصر الجديد الذي ستقوده أشباح العولمة وسلطة الميديا وتفكك القوميات وتقلص القيم وانكسار ثباتها في العالم الفردي والجماعي.

المنهج المعتمد:

اعتمدنا في بحث هذا الموضوع الإشكالي على المنهج التحليلي عبر–تخصصي، نظرا لطبيعته النظرية والمتداخلة الأبعاد والجوانب، وكذا لما يتطلبه من استدعاء لحقول وتيارات معرفية متعددة ومتكاملة للإحاطة بدلالاته ومعانيه البليغة ما أمكن. بالتالي يكمن أساس هذا العمل المنهجي في عملية تتبع مسار تطور مفهوم الهوية وفق مراحل محددة تاريخيا وإبيستمولوجيا، ذلك بالتركيز خصوصا على مرحلتي الحداثة المتميزة بنموج الهوية الذاتية، وما بعد الحداثة المعروفة بنموذج الهوية المركبة أو المؤلفة بالتناقضات، وكل هذا لن يتأتى إلا باستخدام –كما أشرت– المقاربة عبر–تخصصية. علاوة على الاعتماد على نماذج أساسية من الدراسات والأعمال الفلسفية والعلمية المعتمدة والمختصة في دراسة وتحليل قضايا الهوية في أبعادها المتعددة.

تجيب هذه القراءة البحثية عن مجموعة من التساؤلات النظرية والمنهجية بخصوص موضوعة الهوية، تتمثل أساسا في مايلي : ما هي الأسس النظرية الأولى التي ترجع إليها مفاهيم الهوية فلسفيا؟ وكيف نفهم دلالتها في الخطاب الفلسفي الكلاسيكي في ضوء مذاهبه وتياراته المتعددة؟ وماهي المراحل والمسارات الكبرى التي طبعت تطور خطاب الهوية؟ وما الذي يجعل المرحلة الفكرية الحديثة مشتلا بارزا لإعادة انبعاث أنوار الهوية وإشعاعها من جديد على مستويات عدة؟ وبماذا نفهم حضور خطاب مسألة الهوية في ثورات ما بعد الحداثة ورحاب العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة؟ وما الذي يفسر طبائع التعقيد والتركيب والتداخل بل والتناقض التي تتسم بها دلالة الهوية في الفكر المعاصر لما بعد الحداثة؟

خطاب الهوية في كنف الفكر القديم: ملامح الأصول وبداية مد الجسور.

تعتبر الهوية موضوعة فلسفية بامتياز، "عالجها الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواء، المثاليون ميتافيزيقيا، وحولوها إلى قانون، قانون الهوية[1] .والوجوديون نفسيا منعا لانقسام الذات على نفسها، و بالنسبة إلى الوضعيين مشكلة زائفة مثل معظم قضايا الميتافيزيقيا أو عبارات أدبية مصوغة على نحو عقلي[2]، وهذا الاختلاف الفلسفي حول الهوية يجعلها تنتقل من مستوى كونها منطق

صوري و رمزي يلاحق مجالات التناقض في الأشياء والأمر يتعلق بعلم المنطق، إلى مستوى الهوية كبحث عن الوحدة المفترضة للوجود تلاحق بدورها مجالات الكثرة والحركة باحثة عن أصل مرجعي ثابت وهو ما يرتبط بعلم الميتافيزيقا، عبر مستوى)في إطار الانتقال) كون الهوية " أنا مفكرة" منطلقة في تأملها المنهجي من ذاتها لفهم نفسها و العالم وهو ما يتعلق بفلسفة الحداثة، وصولا إلى تصور العلوم الإنسانية المشترك لمسألة الهوية باعتبارها مداخل إثبات وجود فردية وجماعية مكتسبة، ومتداخلة ومتغيرة الجوانب والأبعاد الاجتماعية والثقافية و النفسية و الدينية في عصر ما بعد الحداثة. إن الهوية هنا" خاصة بالإنسان والمجتمع، الفرد والجماعة، هي موضوع إنساني خالص، فالإنسان هو الذي ينقسم على نفسه، وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، بين الحاضر والمستقبل، وهو الذي يشعر بالفصام، وهو الذي تنقلب فيه الهوية إلى اغتراب، فالإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون على غير ماهو عليه، بحيث أن الهوية تعبير عن الحرية"[3]. وفي السياق نفسه، تعرف الهوية على أنها مجموعة من الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التي تفصل بين جماعة وأخرى، الأمر الذي يجعلها تخرج من إطار الثبات، فهي نتاج حركة متعاقبة لجملة من الشروط التي تفرض على كل مرحلة مجموعة من التحولات النوعية في المجتمعات البشرية[4].

إن "من أنا؟" و"من نحن؟" هما السؤالان الأساسيان في خطاب الهوية على حد تعبير الباحث المصري " سمير مرقس"، وقد تشكل مغزاهما الفلسفي "قبل سقراط (المتسائل الكبير) بحيث انتبه الفلاسفة الأولون إلى كيف يمكن تفسير الهوية و وصف ذات الشخص، و نظروا إلى أن الواقع دائم التغير والتجدد، نقصد في هذا السياق بالذكر مقولة "هيراقليطس" الشهيرة القائلة (نحن لا ننزل إلى النهر مرتين)، إشارة إلى أن الحياة دائمة التغير وأن المرء في غطسه الأول يختلف قطعا، عن مرة الغطس الثانية[5]، وفي المقابل نظر الفيلسوف اليوناني القديم " بارمينيدس" إلى أن الثبات والاستقرار هو المعيار الأصيل في الحياة وليس التغير والحركية كما يبدو للناس عادة، بالتالي فالهوية الإنسانية أو الوجودية جزء لا يتجزأ من نظام الثبات الذي يسري على الكون أو الكوسموس الإغريقي القديم، قبل أن يتعرض للمساءلة و النقد الجدليين مع رواد الحركة السوفسطائية خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد، الذين جادلوا في أن هناك حقا وباطلا وخيرا وشرا وعدلا وظلما بالذات في نفس الوقت، و قالوا على لسان " بروتاغوراس السوفسطائي: "أن الإنسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد"، و شرحها أفلاطون كما يلي: يتبين معناها بالجمع بين رأي هيراقليطس في التغير المتصل، و قول ديمقريطس: إن الاحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة فيخرج منها، أن الأشياء هي بالنسبة إلي على ما تبدو لي، و هي بالنسبة إليك كما تبدو لك، و أنت إنسان و أنا إنسان، فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك، و لما كان الأفراد يختلفون سنا وتكوينا وشعورا، وكانت الأشياء تختلف وتتغير، فإن الإحساسات تتعدد بالضرورة وتتناقض، أليس يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الأخر، فماذا عسى أن يكون في هذا الوقت الهواء في ذاته؟ هل نقول: إنه ليس باردا؟ أم نسلم أنه بارد عند الذي يرتعش، وأنه ليس ببارد عند الأخر؟ وإذن، فلا يوجد شيء هو واحد في ذاته وبذاته، لأن كل شيء في تحول مستمر"[6]. هو ما يبرر أن إمكان الذاتية أو الهوية خاضع لمعيار النسبية مع الخطابة السوفسطائية في جل جوانب وأبعاد الخطاب الهوياتي سواء الوجودي أو السياسي بالخصوص. أما بالنسبة للفيلسوف سقراط فقد عرف بأنه فيلسوف الهوية الإنسانية بامتياز، لأن المفكر الذي أنقذ حقيقة الذات اليونانية من مغالطة السوفسطائية الخطابية، فقد " كان سقراط يرى أن لكل شيء طبيعة وماهية هي حقيقته يكشفها العقل وراء العوارض المحسوسة ويعبر عنها بالحد، وأن غاية العلم إدراك الماهيات أي تكوين معان تامة الحد"[7]، تشكل هوية الشخص أو الكون، وبخصوص الأول فقد صرح وقال "أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك".

ربما هناك من يؤكد من منظوره على أن "أصل لفظ الهوية، الذي يحظى بكل هذا الاهتمام، إلى محاولات العرب في القرن الثالث الهجري لإيجاد ترجمة للمصطلحات الفلسفية اليونانية المتعلقة بوجود الموجودات، ولاسيما في نصوص أفلوطين التي نسبوها خطأ إلى

أرسطو، بحيث أن لفظ الهوية هو ترجمة عربية لمصطلح يوناني يتعلق بالموجودات في وجودها هي بالذات، أي الشيء هو اته وليس غيره"[8]. إن العصر الوسيط سيعرف جملة اجتهادات في صفوف الفلاسفة العرب، مثل " الجرجاني" و" ابن رشد" و" الفارابي" بصورة مجردة في تعريف معنى الهوية، فعلى سبيل الذكر لا الحصر نسلط الضوء على التعريف الذي قدمه الفيلسوف الفارابي القائل بأن " هوية الشيء عينته، وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك"[9] ، بمعنى تلك المميزات والخصائص التي تميز الشيء عن غيره و تشخص وجوده المتفرد و تعصمه من الاختلاط بأجناس أو أنواع أخرى قد تكون أحيانا قريبة إليه إلى حد التشابه، إنها " الهوية باعتبارها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[10]. يبدو التعريفات العربية الوسيطة هاته ركزت بشكل كبير على معياري الوحدة والإطلاقة في تناولها لمشكلة الهوية وهو ما قد نعزوه إلى طبيعة المناخ الثقافي السائد في تلك المرحلة التاريخية بالذات، التي كانت مبنية على منطق القومية المتجذرة –بلغة الفيلسوف " وليام كلي رايت"– بدل الانفتاحية والتداخلية. على سبيل الذكر عند العرب فكثيرة هي الأحداث التي توالت على منطقتنا وغيرت مسار التاريخ العربي، فمن دولة الخلافة التي انتهت برحيل العباسيين وما رافقها من صراع على السلطة بين الممالك المحلية، إلى مرحلة جديدة بدأت بالتدخل الأجنبي الذي عمل على فرض وجوده عسكريا مستغلا حالة العرب في تلك الحقبة[11]، مما جعل الهوية العربية تشهد تغيرات متعددة تجاذبتها محددات الثبات والتغير، السلطة والتبعية، الاختلاف والتشابه، بفعل التحول الذي عرفته الأنظمة المتعاقبة للحكم وثقافة السلاطين وبدايات الزحف الغربي الاستعماري البرتغالي وغيره عبر مراحل متفرقة ومؤثرة سياسيا وثقافيا.

لقد كان الخطاب الهوياتي في إطار ما قبل الحداثة تحكمه الوصايا الدينية والوعي الأخلاقي الجمعي القائم على سلطة "النحن" الكليانية في مقابل سؤال الفردانية والأخلاق عبر–وطنية، وهو ما جعلنا حسب الإبيستمولوجي المغربي "سالم يافوت" نعيش ماضينا في حاضرنا " نفهم الهوية فهما مطلقا معزولا عن كل الظروف أو الشروط القائمة، وكأن الهوية تعني أن من الواجب على عرب اليوم أن يضاهوا عرب الأمس، وأن يتميزوا عن غيرهم وبخاصة عن الغربيين، ويفترض كل ذلك عدم الاقتباس منهم حتى الأمور الصالحة، والمفيدة بدعوى أنها معارضة لما يطمح إليه العرب من تميز ومغايرة، وكلما قل الاقتباس من الخارج والتفاعل معه، تقوت حظوظ المحافظة على التشكيلة الاجتماعية، هذا رغم استيراد منتجات استهلاكية ترفيهية لا تمس المثل و الرموز"[12] المحلية والداخلية بوجه مخصوص، التي تعبر عن صورنا الهوياتية المستدخلة عن طريق أنماط من التنشئة الاجتماعية عبر تسلسل الأجيال. كما تجد أيضا أن العرب عموما يطرحون مسألة هويتهم عبر خطاب يلغي الذاتيات المختلفة في هويات شمولية، حتى وصل بنا الأمر إلى العودة إلى سؤال الهوية في صورة سؤال من هم العرب؟ وفي غياب هوية كلية منتصرة ليس من السهولة الإجابة عن مثل هذا السؤال وهذا هو وجه المشكلة[13].

ولادة الهوية الذاتية: نقطة ارتكاز الذات، العالم، الله.

إن التأسيس لبراديغم الذاتية خلال العصر الحديث من طرف أب الفلسفة الحديثة "رينيه ديكارت"، سوف يشكل نقطة تحول بارزة في مسار تشكل خطاب الهوية معرفيا وثقافيا حتى، ذلك من خلال استدارة منطق الهوية من على ضفة الوجود و الدين والميتافيزيقيا في تجاه خطاب هوياتي مؤسس على دقة و حكمة المنهج و سلطة الذات التي بزغت في فجر خطاب الحداثة، هذه الأخيرة التي أنتجها فلسفيا و علميا " الانقلاب الديكارتي" العاصف بنموذج السكولائية القديم المعتمد في بنائه على مشروعية الكنيسة ورجال الدين المالكين لتمثيلية الله في الأرض، والمؤسس (الخطاب الديكارتي) لفلسفة رد الاعتبار لبنية الإنسان العاقل والقادر على التفكير والتحرر، ونعلم أن " الهوية تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية، والهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، إن وجدت فالوجود الذاتي، وإن غابت فالاغتراب"[14]، بالتالي ف " cogito–الكوجيطو" يعبر عن عصر ولادة "الأنا" المفكرة خلال القرن

17م، وهو قرن ثورة الهوية الذاتية صاحبة الاستقلالية و الحرية التي تمخض من خلال معيار التميز لصالح الكائن الإنساني بفضل معيار العقل، وعلى لسان ديكارت القائل في هذا السياق " إني أميل إلى الاعتقاد بأن النطق، أو العقل، ما دام هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا أناسا و يميزنا عن سائر الحيوان، وهو بأكمله في الإنسان، أني أميل في ذلك إلى إتباع الرأي الوارد بين الفلاسفة الذين يقولون أنه لا زيادة ولا نقصان إلا في الأعراض"[15]، أما بالنسبة للجوهر العقلي فهو ما يمنح للذات سمة تفردها وتميزها عن غيرها من الكائنات، بل وتحررها في الوجود والحياة، من خلال إثبات الذات وبسط السيطرة والسيادة على عوالم الطبيعة بعدما كان الإنسان يخشاها لسبب من الأسباب المتداولة في التاريخ الديني أو السلطوي.

إن تبلور الهوية الذاتية مع الفلسفة الحديثة قامت على فكرة أن لكل فرد هوية بذاته، هي موحدة و لا يمكن تفكيكها إلى أجزاء مصغرة أو تدمجها في كل عام و جماعي، بالإضافة إلى كون هذه الهوية الفردية متميزة عن غيرها، و" طبقا ل (ستيوارت هول) فإن هذا المفهوم للهوية نشأ من أفكار الفيلسوف الفرنسي ديكارت(1596-1650) إذ اعتقد ديكارت بوجود فارق أساسي بين الفكر و الموضوع، و كانت الفكرة مزدوجة لديه عن الإنسان الذي في رأيه ينقسم إلى جزأين : العقل و الجسم، و عقل كل إنسان منفصل عن العقل أي إنسان أخر، و بالتالي كل شخص يصبح متميزا. إن التميز في عقل الإنسان عير عنه ديكارت بقوله أنا أفكر إذن أنا موجود[16]". وهذا التميز الفردي الهوياتي الذي أنشئ مع ديكارت سوف يستمر ويتجدد خلال عصر الأنوار، هذا الأخير الذي قام كله على الجرأة الكانطية على استخدام العقل والتفكير ودمقرطة الفضاء وتحرير الدين من سلطة المصلحة، وهو ما أبد روح استمرار الذات الفردية كنقطة ارتكاز في مشروع الهوية الفردية، وفي الصدد نفسه " يصف هول ذلك ويقول: (موضوع التنوير كان يرتكز على مفهوم المركزية التامة لفرد الإنسان القادر على التحليل والإدراك والفعل. هذه المركزية تتألف من جوهر داخلي نشأ بالأساس مع ولادة الشيء (الموضوع) ثم تطور تدريجيا معه، وطوال وجود الفرد بقي هذا المركز الأساسي للذات هو ذاته بشكل مستمر ويشكل الهوية الفردية)[17]، باعتبارها فلسفيا سيرورة نقل سلطة الهوية من كنف الكنيسة إلى مجال الإنسان المفكر.

إن هذه الهوية الذاتية الديكارتية القائمة على مبدأ المساواة[18]، والتي ولدت في أحضان مشروع الحداثة و سياقات الحركات الإنسية و الاصلاحات الدينية و الأسئلة السياسية الأولى قبل الثورية، جعلت مضمار البحث في قضايا الهوية بشكل فلسفي يتوسع شيئا فشيئا لدى فلاسفة العصر الحديث، سواء المنتمون إلى المدرسة العقلانية ك "مالبرانش" و"اسبينوزا" وليبينز" و هم تلاميذ ديكارت رغم القراءات النقدية التي أسسوها من داخل مشروع الديكارتية، أو مع الفلاسفة الآخرون ك " دافيد هيوم" ضمن كتابه " بحث في الفهم البشري" (1711-1776)، و"جون لوك" في مؤلفه " رسالة في الفهم البشري" (1632-1704)، الذي تناولوا إشكالية الهوية من منظور الذاكرة و التجربة الحسية والإدراك الحسي[19]، هذا الأخير (لوك) الذي تأثر بديكارت و ذاتيته الخالصة ثم قال : " لنفترض إذن أن العقل يكون في البداية صفحة بيضاء خالية من أي حرف وليس به أية فكرة، فكيف يتوصل إلى الحصول على الأفكار؟ وما هي الوسيلة التي يحصل بها على هذا العدد من الأفكار .. إني أجيب على ذلك باختصار: من التجربة، هذا هو الأساس لجميع معارفنا، و منه تستمد أصلها الأول. فملاحظتنا للأشياء الخارجية المحسوسة أو للعمليات الباطنية التي تجري داخل أنفسنا، تمد عقلنا بجميع مواد التفكير ...إن حواسنا تتأثر ببعض الأشياء الخارجية، فتنقل إلى أنفسنا عدة مدارك متمايزة عن الأشياء تبعا لمختلف الطرق التي تؤثر بها هذه الأشياء على حواسنا. هكذا تكتسب المعاني التي لدينا عن الأبيض والأصفر والحار والبارد، والصلب واللين والحلو والمر وعن كل ما نسميه كيفيات حسية...وربما أن هذا المصدر الكبير لجل المعاني والأفكار التي تكتسبها يرجع كله إلى حواسنا وينتقل بعدها إلى الذهن بواسطتها فإني أسميه الإحساس"[20].ويبدو هنا، أن الهوية الحسية لدى المنتقدة للهوية الخالصة لدى ديكارت بمثابة ملامح كبرى لخطاب الهوية في عصر التحديث والحداثة الإنسانيين. ثم لا ننسى أن بناء الهوية الحديثة سوف ينضج أيضا من خلال تناول قضايا في الأخلاق السياسية والفلسفة السياسية التي ساهم فيها

رواد التعاقد الاجتماعي من قبيل " روسو" ومونتيسكيو" ولوك"..، عبر صياغة محددات فكرية وإنسانية جديدة شكلت أسس الهوية الفردية، مثل العدالة، المساواة، التعاقد الاجتماعي، التسامح، فصل السلط...[21]

إن " باروخ اسبينوزا "(1632-1677) هذا الفيلسوف الحديث الذي أعاد أنفاس الفكر الروحاني الوسيط جنبا إلى جنب مع خطاب العقل الذاتي الحديث ضمن منطق الهوية الجديد، من خلال نموذجه الفلسفي القائم على " وحدة الوجود" أو ما يسمى " بالطبيعة الطابعة و الطبيعة المطبوعة" حد تعبيره في كتاب " علم الاخلاق"، فهذه الوحدة و الكلية التي أنعش بها اسبينوزا خطاب الهوية الحديثة بعد ثورة القطع مع أحكام الدين و مذاهب الكنيسة خلال القرن 17م، سوف تطرح أسئلة الأخلاق و الثقافة و العرق في سياق ما بعد الحداثة بألوان متعددة و مختلفة، انتقادا للحداثة الديكارتية. فاسبينوزا يرى أن " الله هو الطبيعة الخالقة لأنه علة كل شيء، و هو الطبيعة المخلوقة لأنه كل الصفات و الوجوه (وحدة الوجود)، و الله مطلق لا يشاء و لا يريد لأن المشيئة و الإرادة تفترض أن هناك أشياء تنقص الله، فالله كامل و حر و حريته ضرورية، و أفعاله ضرورية كذلك لم تفرضها إرادته لأن الله ليست له إرادة و ليس شخصا معينا"[22]، ومنه، فالتصور السبينوزي يرسم معالم الهوية القائمة على الوحدة و الانتظام الديني الحديث، وهو القائل في كتابه " اللاهوت و السياسة" أنه لكي يعيش الناس في أمان و على أفضل نحو ممكن، كان لزاما عليهم أن يسعوا إلى التوحد و النظام الواحد"، أي نظام الطبيعة الطابعة–المطبوعة و ووحدة العقل و توجيهاته الكابحة للنزوات و الاندفاعات السلبية، عن طريق إحكام التوجيه للجسد بقوة الإرادة .

إن وحدة الهوية مع اسبينوزا سوف تعيد الاعتبار لمقولة الجسد إلى ساحة الاعتراف بماهيته و حضوره الطبيعي في البناء الإنساني، بعد نفيه و إقصائه من قبل تأملات ديكارت الخالصة و " خواطر" باسكال، وهي البداية التي سوف تعلن نقدية المشروع الديكارتي المتعالي، حتى صار " بعض الوجوديين فيما بعد، يعتبرون الهوية هي البدن لرفضهم ثنائية النفس و البدن، (أنا جسمي) كما يقول " جابريل مارسل"، بحيث أنه عن طريق الجسم أتحرك و أنتشر في العالم و أعاشر جنسيا و أصارع، و يرفض سارتر مقولة (الكوجيطو : أنا أفكر)[23] و يفضل (أنا موجود) Egoو الوجود هو البدن قبل أن يتخلق فيه الوعي، فهو الفقير في كفايته و هوية الغني في طمعه و هوية العري في إلباسه، هوية الشريد في إيوائه، و هي الهوية المباشرة التي يشترك فيها الجميع[24].

إن هذه الثورة الفكرية على الكوجيطو الديكارتي سواء عن طريق تلاميذته أو من قبل المدارس الحسية أو الرومانسية أو النقدية مع الألماني " إيمانويل كانط" بالخصوص في عمله" نقد العقل الخالص"[25]، بالإضافة إلى التغيرات الاجتماعية و السياسية و التحولات العلمية التي عرفتها القارة الأوروبية إبان القرن 19م، سوف يجعلنا أمام انتقال سؤال الهوية من التحديد الفلسفي إلى مجال الاهتمام بالإنسان في علاقته المركبة بذاته، و سياقه الصناعي الجديد المختلف كليا عما قبل، فقد " تعقد الخطاب الهوياتي أكثر فأكثر عندما أصبح للهويات تعبيرات سياسية من جهة، و مؤسساتها و أبنيتها القانونية من جهة أخرى[26]، ثم ازداد التعقيد عندما تراوحت بين الوحدة و التعدد، بين الأنا والأخر، بين الفرد والجماعة، بين المقدس والمؤسس، بين الأخلاقي والاقتصادي .. الأمر الذي فتح الباب أمام أبحاث ودراسات الحقول العلمية المتعددة ضمن دائرة العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع، علم النفس، الأنثروبولوجيا، الدراسات الثقافية النقدية.

إن طموحات العلوم الإنسانية و الاجتماعية و قراءاتها المتعددة للواقع الإنساني، جعلتنا ندرك أن الهوية كموضوع يتشكل من تشكيلات ومستويات ثلاث، المستوى الأول من التشكل، هو المرتبط بهوية الإنسان منفردا، أي الإنسان باعتباره ذات فردية مستقلة وعاقلة وصاحبة اختيارات مختلفة في الحياة المجتمعية رغم تعدد العوالم التي قد تنتمي إليها، ثم المستوى الثاني من التشكل، هو ذاك المتعلق بالإنسان في إطار علاقاته و تفاعلاته و انتماءاته المتعددة، ضمن هويات جماعية مبنية اجتماعيا واكتسابيا سواء على التاريخ

أو الحضارة أو العرق أو الدين أو النسب أو الدولة أو غيرها من المعايير و المقاييس السوسيوثقافية، التي تجعل هوية الفرد جزء لا يتجزأ من هوية الجماعات والمجموعات و التنظيمات الاجتماعية المتعددة. أما بالنسبة للمستوى الثالث و الأخير من تشكل الهوية، فهو المرتبط بالتحولات التي تطرأ على الواقع و المجتمع و انعكاس ذلك على الإنسان، نقصد هنا تلك التغيرات المعاصرة الجديدة المتعلقة بالعوالم الافتراضية و الرقمية، التي حلت بثقلها على حياة الإنسان و أصبحت هي من يؤسس لهويته القوية في العالم، حتى بات الباحث المعاصر يرجح كون التجلي الهوياتي الرقمي موجود في كل مجال ويسائل العواطف والأفكار والسياسة والأديان بمؤشرات التعقيد و التراكب العبر–اجتماعي. من ثم يمكن تلخيص كل هذا التحول بلغة المفكر المصري " مرقس سمير" في كوننا نجد منظومة سلوكية تتبلور وتتميز وتميز الإنسان منفردا، وتشكله كائنا اجتماعيا وثقافيا "منخرطا هنا وهناك " ضمن سياق التغيرات المجتمعية المستجدة، والأهم أن هذه المنظومة ليست ثابتة بل تتعرض هي نفسها إلى ديناميات لا حصر لها، معلنة عصر تداخل الهويات السائلة إن شئنا استخدام مفهوم "بومان" وتحليلات الرواد المعاصرين أمثال: " بيتر بيرجر"، "دافيد هارفي"، " دافيد ميللر".

تشكيلات خطاب الهوية في سياقات ما بعد الحداثة المركبة:

إن سياقات تبلور الهوية المعاصرة ما بعد الحداثة، تتجلى في سيرورة الانتقال في حياة الإنسان من النزاعات والصراعات والتفاعلات القائمة بسبب الطبقة والثروة والحقيقة والمكانة السياسية وغيرها، والتي كانت تميز الطبقة البورجوازية والطبقة العمالية منتصف القرن 19م، إلى خضم الديناميات المعاصرة المرتبطة بالعرقية والإثنية وما بعد القومية والحركات الاحتجاجية الاجتماعية و الإيديولوجية و المناهضة للعولمة، وكذا المرتبطة بالمسألة الحقوقية والإيكولوجية المعاصرة، كما ساهم في تشكيل هذا الخطاب الهوياتي الجديد نظام هيمنة الاستهلاك والامتلاك الذي طبع سيكولوجيا الإنسان المعاصر[27]، وهو ما أدخل اضطرابات وأزمات ومشاكل وأعطاب على مستوى الهويات الفردية والجماعية، بحيث تغير نمط عيش الإنسان وانتقل من مستوى استهلاك الحياة إلى مستوى حياة الاستهلاك، علاوة على ما لعبه سياق الانتقال من الصناعي إلى الافتراضي من تحولات جذرية في الهوية، بحيث أدت الثورات الرقمية والاتصالات عبر حدودية بالإنسان المعاصر إلى عدم الاكتفاء بالحياة القائمة على التواصل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات بشكل مباشر ومتفاعل، إلى الانخراط في عالم من الهويات المتدفقة والسائلة والقائمة على حياة الصورة والمنشورات والروابط الافتراضية. "لقد أصبحت المجتمعات ما بعد الحداثة متميزة كثيرا بوجود الهويات الجزئية وبدا معها أن الناس لم يعد بوسعهم امتلاك تصور واحد وموحد عن هويتهم، وإنما يمتلكون عديدا من الهويات التي تكون أحيانا متعارضة وملتبسة ومفتتة وغير قابلة للتناغم، ولهذه الهويات الجزئية مصادر متعددة"[28].

لقد كانت مبادئ الهوية في المرحلة الحديثة مرتبطة أشد الارتباط بمعايير الانتماء إلى الطبقة والجنسية والجماعات البشرية العرقية والإثنية، بينما في المرحلة المعاصرة صارت الهوية مسرحا للتغيرات والتناقضات الدائمة والممكنة ومجالا لتعدد الجوانب والأبعاد المشكلة، بحيث يحضر في تكوينها التطور الصناعي والتقني وتوسع الحياة الحضرية وامتدادها واختلاف أنماط السكن وجموح مظاهر الاستهلاك اليومي للأفراد، وهذا " الاستهلاك لا يقتصر على الملذات، بقدر ما يشير إلى الاستثمار في العضوية الاجتماعية، التي تترجم نفسها في مجتمع المستهلكين إلى القدرة على ترويج الذات وتسويقها وبيعها، بمعنى تحقيق الصفات المطلوبة في السوق، أو إعادة تدوير تلك الصفات المطلوبة وتحويلها إلى سلع يمكن تسويقها"[29]. كلها هاته متغيرات تسهم في بناء الهوية المعاصرة وتعمل على تكسير القواعد الموروثة والتقليدية لمعنى الهوية. فإنسان المجتمع المعاصر هو كائن افتراضي بامتياز، نظرا لما تتميز به منظومة مجتمعات المعرفة الجديدة من أشكال التطور التكنولوجي والذكاء الاصطناعي، وما لها من تأثيرات عميقة على هويات الأفراد وأنماط سلوكهم وكذا وظائف النظم الاجتماعية، بحيث أتاح فرص جديدة للتحرر من سلطة الزمان والمكان والثقافة لصالح التواجد الرقمي التفاعلي المنفتح، وهو

ما عبر عنه السوسيولوجي البريطاني " أنتوني غيدنز" في قوله : " إننا في عالم اليوم، نتمتع بفرص غير مسبوقة لنصنع أنفسنا ونشكل هوياتنا المتميزة، وقد غدت علامات الطريق التقليدية أقل بريقا وتأثيرا وضرورة، وأصبح العالم الاجتماعي يواجهنا بتشكيلات واسعة ومحيرة من الخيارات والإجابات عن هذه الأسئلة، من دون أن يزودنا بأية إشارات لتحديد ما نؤثره من الخيارات"[30]، إنه عالم متغير يحدد هوياتنا بالتغير لا بالثبات، بالتناقضات لا بالتوافقات.

لابد أن نشير بناء على ما سبق، أن استخدام لفظ الهوية بدأ في الفلسفة، ولكنه درج في الاستخدام اليومي في العصر الحديث، وأصبح كذلك مصطلحا في العلوم الاجتماعية"[31]، ويبدو أن بداية القرن العشرين هو المحطة الجوهرية في هذا التحول الجذري في الاهتمام العلمي بمسألة الهوية. حيث إن السيكولوجي " إريك إركسون" (1902-1994م) قام بتحرير الهوية كمجال للدراسة من هيمنة الفلسفة إلى مساحة الدراسة العلمية على حد تعبير الباحث سمير مرقس، من خلال أعماله العلمية الدقيقة من قبيل عمله الموسوم ب " المراهقة و الأزمة : في البحث عن الهوية"، الذي اشتغل من خلاله على تفكيك و مقاربة الهوية بأكثر من معنى و دلالة، بحيث صنف الهوية سيكولوجيا على أنها قائمة على مسألتين أساسيتين هما: أولا: أن نكون أمام ما يسميه بالتشابه و وحدة الشخصية لدى الفرد، ثم ثانيا: ما اعتبره حقيقة الشيء أو كونه موثوقا فيه. و قد استفاد " إركسون" من دروس التحليل النفسي و مجالاته المتعددة التي تلقيها " أنا فرويد" في أمريكا، إضافة إلى تأثره بشغف الدراسات الثقافية ما بعد الحداثة، وهو ما ساهم في سيرورة فهمها و تفسيره للهوية على أنها بمثابة شعور نفسي داخلي بالذات، بحيث يقول في هذا السياق ما يلي " إننا نصل إلى معنى الهوية عندما يشعر الفرد بعمق و قوة أنه نشط و حي، أن الصوت في داخله يتكلم و يقول (هذا واقعي و حقيقي و أصلي)"، وقد عمل على أن يوازي بهذا الفهم منطق الهوية بما يسميه " المشاعر الذاتية المتفاقمة"[32]، دون أن ينسى طبعا، في إطار بحثه الما بعد حداثي أن يتناول إشكالية الهوية و علاقتها التحليلية بالنماذج و الصيغ الثقافية وكذا أنماط الشخصية لدى الأفراد داخل المجتمع، وتبين له سنة 1950[33]، أن الهوية تنمو وتتطور وتتبلور مع التطورات العمرية و النفسية و الاجتماعية التي يخضع لها الفرد في حياته داخل المجتمع، هذا الأخير الذي تشهد فيه سيكولوجيا المراهق ما يسمى ب " أزمة الهوية" في نظر " إركسون". خصوصا وأن حياة الأفراد والجماعات تعرف تقلبات وتحولات اجتماعية وثقافية ونفسية باستمرار ودون توقف وفق السياقات المركبة التي يصادفونها في تفاعلاتهم وتأثيراتهم وأشكال تأثرهم، بالتالي يمكن النظر كما أكد على ذلك " إليكس ميكشللي" إلى أن " الهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة وإلى الأبد، إنها حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتتغاير، وتشيخ وتعاني الأزمات الوجودية والاستلاب"[34].

أكبر استلاب سوف تتعرض له الهوية الذاتية للكائن الإنساني بعد تأسيس العلوم الإنسانية و الاجتماعية، سوف يتجلى مع حقل التحليل النفسي بزعامة الطبيب النفساني النمساوي "سيكموند فرويد" الذي وجه انتقادا لاذعا لهويات الحداثة المتمركزة حول ذاتها، من خلال عمله على إزاحة معيار العقل من على برج التحكم في منظومة الهوية الذاتية بالخصوص، و اعتبر أن ما يطبع حقيقة الذات و تفردها يستمد وجوده من عنصر سيكولوجي لاشعوري خالص، يتحكم و يهيمن على جانب العقل و الإدراك الواعيين و يضعهما في اغتراب و إبهام تامين، ذلك لكون " اللاشعور هو الأساس العام للحياة النفسية" كما قال " فرويد"، بالتالي صار المعيار الجديد لبنية الهوية هذه المرة مجهول و باطني و غير مرتبط بالحواس كما وصفه صاحبه، بل مرتبط بعمليات نفسية معقدة تنمو و تتحرك و تسعى إلى الظهور داخل سيكولوجية الذات الباطنة، فمن الرغبة في تحقيق سحر اللذة المغروس في "ليبيدو "[35]الطفولة المعصومة من سلطة القواعد والأخلاق، مرورا بحواجز الرقابة التي يفرضها المجتمع على هيئة الضبط الاجتماعي لبراءة العنصر السيكولوجي الصامت، الذي يحاول جاهدا أن يتنصل من سلطة المجتمع عبر " المقاومة" التي يبديها قبل أن تتحول إلى الكبح بعده الكبت، فتبدأ الهوية الواعية-الأخلاقية في التلاشي فيأتي مؤشر الحاجة إلى الظهور وتفريغ المسكوت عنه من رغبات واندفاعات مقموعة، التي تفضي إلى جعل العقل البشري بلغة "فرويد" لم يعد سيدا في عقر داره. فصارت بنية الهوية بالمعنى السيكولوجي الجديد

ساحة معركة بين مكونات الجهاز النفسي الباطني التي تجعل الفرد الإنساني والنظام الاجتماعي يعيشان تناقضات ومفارقات غير محسومة.

لقد ذهب رائد الدراسات الثقافية المعاصرة " ستيورت هول" إلى التركيز تأثيرات التحولات الاجتماعية الجديدة على نموذج الهوية الثقافية، وحاول أن يفسر خصائص التعقيد والتركيب التي تتسم بها الهوية المعاصرة انطلاقا من تقسيمه التاريخي المعروف، والمتمثل أساسا في المراحل الثلاثة الأساسية التي ارتحلت من خلالها الهوية من الذاتي إلى المركب والمتعدد، ويمكن إجمال هذه المحطات في: أولا: محطة ما قبل الحداثة: وهي المرحلة التي تميزت فيها الهوية بمبدأ الفردية وظهرت فيها كهوية ذاتية في جوهرها، تجسد المكانة المتميز لمفهوم العقل الذاتي وموقع الفرد في الحياة الاجتماعية للمجتمع الحديث، كما تعبر عن الأشواط التي قطعها الفرد الإنساني من أجل إثبات ذاته ووجوده باستقلاله الخاص والمتفرد، مخلفا وراءه سلط الدين والثقافة والرأي الشائع ومكسرا لأصنام الأحكام المسبقة الواهمة، وراسما معالم القدرة على السيطرة الذاتية على الطبيعة بمنطقه الخاص والذاتي خارج هيمنة التوقعات الجمعية والاجتماعية، مما يجعل هذا في المستوى يتمتع بما سماه ب الذات التنويرية المنفردة، وهي بالأساس تعبير صريح عن روح العصر الحديث بالتحديد. أما المحطة الثانية من محطات تشكل الهوية المركبة فهي مرحلة الهوية المجتمعية إبنة القرن التاسع عشر ميلادي، وقد ارتبط هذا النموذج الهوياتي بالسياق العام للثورة الصناعية والإنتاجية بالأساس، بحيث صار هذا الفرد نتاج التفاعلات الاجتماعية والتحولات المجتمعية عموما وليس ذاتا منعزلة عن محيطها المتدفق، بحيث أنه المحيط الذي ساهم بشكل كبير في تعزيز نشأة الفئات والتصنيفات الاجتماعية نتيجة الثورة. إذا كانت المرحلة الثانية مرتبط بفكرة الاندماج الاجتماعي للأفراد داخل التحولات المجتمعية، فإن المحطة الثالثة ستعنى تحولات الهوية بتغيرات ما بعد الحداثة في أوروبا، تغيرات ساهمت فيها عوامل علمية وتكنولوجية وإعلامية معاصرة سوف تهدم أسس الهوية الحديثة بالضبط، وتعمل على إنتاج عصر هويات متعددة وليس هوية واحدة متوقعة في الزمان والمكان، أي بمعنى سنكون أمام هوية مركبة من هويات متعددة في نفس الحين، بفضل سحر العولمة والتقدمات الحاصلة في ميادين الاتصالات والإعلام الجديد أيضا، التي ستجعل الدولة أو الثقافة القومية مجرد شتات من الهويات المتعددة والمختلفة وستحول العالم ككل إلى "قرية صغيرة" على حد تعبير "ماك لوهان"، وبالتالي سيصير معها المواطن المحلي هنا والآن مواطنا كونيا متداخل الهويات الفرعية، بحيث تولدت لديه رغبات منفتحة على اكتساب لغات عديدة للتواصل العالمي، واستخدام الكومبيوتر والهواتف الذكية التي تقتلعه من الموروث باستمرار.

سوف يركز الفيلسوف المعاصر "زيكموند بومان" في نفس الاتجاه على تحليل نموذج الهوية ما بعد الحداثة، واعتقد بأن هذا النوع من الهوية ينفلت من قواعد الثبات ويتسم بالتغير المستمر، فالفرد الواحد يتقمص نماذج هويات متعددة في الوقت الذي يشاء وبالطرق والأساليب التي يريد بشكل مفتوح، وغير مقيد بمعايير دينية أو سلوكيات أخلاقية أو أعراف مجتمعية محددة سلفا، بل على العكس من ذلك، فالهوية المعاصرة ما بعد الحداثة تتصف بالدينامية السريعة نظرا لسرعة التفاعلات الاجتماعية المعاصرة التي يعيشها الإنسان بفعل وسائل الإعلام الجديدة وما يطبع وعي وفكر مجتمعات المعرفة الجديدة، بحيث" أنه في الأزمنة الحديثة الراهنة السائلة تتشكل الثقافة بما يلائم الحرية الفردية للاختيار والمسؤولية الفردية عن لك الاختيار، وتتمثل وظيفتها في الإبقاء الدائم على هذا الاختيار ضرورة حياة"[36]. فقد ربط بناء على ما سبق "بومان" هذه الهوية الدينامية المعاصرة بأربعة إستراتيجيات عميقة هي: أولا: إستراتيجية المتجول، وهي المرتبطة بسلطة الميديا وشبكات الانترنت وعوالم مواقع التواصل الاجتماعي، التي تجعل الفرد المعاصر مسافرا في العالم وهو مسترخيا أو جالسا في مكانه المعتاد، ومتجولا مستكشفا لثقافات وأنماط عيش مجتمعات وبلدان متعددة، أي يتحرك في الزمان والمكان المختلفين بلا حدود ولا شروط، أما بخصوص الإستراتيجية الثانية فهي المتعلقة بما سماه إستراتيجية المتشرد، ويمكن تفسيرها في كون هوية الفرد تتسم بالغرابة والانفلات من سلطة التوقع والارتقاب، بحيث لم يعد المجتمع واليات رقابته قادرا على ضبط هويات الأفراد في مجتمع ما بعد الحداثة، لعدم وضوحها واستقرارها وثباتها على حال من الأحوال، بل صارت تتميز بالاستعجالية والفجائية

واللاتوقع. بينما إستراتيجية السائح، فهي تصف الهويات المسافرة باستمرار والمنفتحة على جميع التجارب والاختبارات الجديدة بلا توقف، فهي هويات عابرة للحدود وذات موطنات وجنسيات رمزية متعددة ومختلفة بفضل كونها سائلة وليست صلبة وقارة. أما الإستراتيجية الرابعة التي تحدث عنها "بومان" فهي إستراتيجية اللاعب، بحيث باتت الهوية المركبة للأفراد المعاصرين هوية لاعبة في لعبة حياة تحتوي على لاعبين آخرين، يتنافسون ويلعبون بنوع من الترفيه واللامبالاة لما بعد النتيجة التي تفضي إليها نهايات اللعبة، لكون إمكانيات تبادل الأدوار بين اللاعبين في أي وقت متاحة ومباحة للجميع، كما أنه الفرد المعاصر في هذا السياق يغير اللعب والأدوار والمواقع والهويات على الدوام في عالم شديد التغير والتداخل.

خاتمة:

فإذا كانت الحداثة قد حتمت على الإنسان أن يكون إنسانا على منهجيته الخاصة و أسلوبه الذاتي الخاص، أو ما يصفه " تايلور ب" الأناوية المركزية حيث يتمركز الفرد حول ذاته في إطار فلسفة الهوية الذاتية، وفي ضوء ما تمليه عليه تأملات عقله المتحرر من كل المسلمات والقيود، فإن سياقات مجتمعات ما بعد الحداثة سوف تجعل الهوية مشروعا مفتوحا و حرا يكتسب مشروعيته من ديناميته المستمرة التي تخرجه من نفق الهويات الجاهزة والمتمركزة حول ذاتها بصرامة، بحيث أنه في هذه المرحلة " نجد الفرد يمارس عملية بناء مركبة للهوية تقوم على الخاصية و نقيضها في آن واحد، و يعتبر ذلك مقاومة انعكاسية لمواجهات التحولات الجذرية بتناقضاتها المجتمعية"[37]، في عصر مجتمعي جديد انتقل فيه الإنسان من موقع الفرد الاجتماعي إلى الفرد الالكتروني الرقمي. بحيث صار " مجتمعنا هو مجتمع المستهلكين، وفيه تظهر الثقافة نفسها، مثل كل شيء في العالم الذي يعيشه المستهلكون، باعتبارها مستودعا للبضائع الاستهلاكية، تتنافس جميعها لجذب الانتباه الخاطف المستنزف لدى الزبائن المحتملين"[38]. إننا أمام سلط الهوية المركبة، التي تتألف من هويات متصارعة ومتناقضة وشديدة الحساسية تجاه بعضها البعض، في عالم معاصر سريع وفضفاض يصعب القبض عليه بحكم انفلاته الدائم.

الهوامش:

[1] يمكن الإشارة في هذا الصدد، أن الفيلسوف اليوناني أرسطو قد صنف منطقه إلى ثلاثة مبادئ كبرى، على رأسها مبدأ الهوية أو الذاتية الذي يحيل على كون الشيء هو وليس شيء غيره، ثم يليه مبدأ عدم التناقض ثم مبدأ الثالث المرفوع. يمكن الاطلاع في هذا السياق على كتاب ساهر رافع بعنوان " أرسطو".

[2] حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2012.ص9.

[3] حسن الحنفي، المرجع نفسه، ص11.

[4] عهد كمال شلغين، الهوية العربية: صراع فكري وأزمة واقع، دراسة في الفكر العربي المعاصر، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2015، ص7.

[5] سمير مرقس، "هويات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية"، مؤسسة الفكر العربي، التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافية: التكامل العربي، تجارب، تحديات وافاق، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2015، ص26/25.

[6] يوسف كرم، " الفلسفة اليونانية"، الحرية للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، ص78

[7] يوسف كرم، المرجع نفسه، ص87.

[8] عزمي بشارة، تأملات في مسألة الهوية، مجلة تبين، العدد41، المجلد11، صيف2022، صص15-45. ص21-20.

[9] محمد أبي نصر الفارابي، "التعليقات"، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر، د.ط، ص21.

[10] الجرجاني محمد، " معجم التعريفات"، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، ص216.

[11] عهد كمال شلغين، الهوية العربية: صراع فكري وأزمة واقع، دراسة في الفكر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص7.

[12] سالم يافوت، "هويتنا الثقافية والعولمة"، مجلة فكر ونقد، العدد 11، شتنبر 1998، ص34.

[13] عهد كمال شلغين، المرجع نفسه، ص.29.

[14] حسن الحنفي، المرجع السابق، ص13.

[15] رينيه ديكارت، " مقال عن المنهج"، ترجمة محمود محمد الخضيري، مراجعة وتقديم الدكتور مصطفى حلمي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985.ص162.

[16] هارلمبس وهولبورن، "سوسيولوجيا الثقافة والهوية"، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2010. ص95.

[17] المرجع نفسه، ص96.

[18] نشير من باب التوضيح في هذا السياق، أن ديكارت في مقدمة كتابه " مقال عن المنهج: قواعد لإرشاد العقل نحو بلوغ الحقيقة في العلوم"، يقول بأن " العقل هو أحسن الأشياء توزعا بين الناس بالتساوي، إذ يعتقد كل فرد أن أوتي منه الكفاية، حتى الذين لا يسهل عليهم أن يقنعوا بحظهم من شيء غيره.. والحقيقة التي تسمى بالعقل أو النطق، تتساوى بين كل الناس بالفطرة، وكذلك يشهد بأن اختلاف أرائنا لا ينشأ من أن البعض أعقل من البعض الأخر، وإنما ينشأ من أننا نوجه أفكارنا في طرق مختلفة". المرجع السابق، ص161.

[19] سمير مرقس، المرجع السابق، ص26.

[20] جمال هاشم، "قاموس الفلاسفة"، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1991، ص67.

[21] يمكن الاطلاع أكثر على سيرورة تشكل الهوية فلسفيا على المرجع التالي:

عفيف البوني، " في الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر"، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

[22] المرجع نفسه، ص64.

[23] يمكن الاطلاع في هذا الصدد على كتاب: جان بول سارتر، " تعالي الأنا الموجود"، ترجمة حسن حنفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1977.

[24] حسن الحنفي، المرجع السابق، ص13.

[25] نشير إلى أن كتاب "نقد العقل الخالص" للفيلسوف "كانط" يعتبر من بين أسس القراءة النقدية للمشروع الديكارتي، ومرجعة معرفية ومنهجية للعقل الرياضي الخالص، وللذاتية المتعالية. إلى جانب طبعا، كتاب "نقد العقل العملي" و"نقد ملكة الحكم".

[26] سمير مرقس، المرجع السابق. ص27.

[27] يمكن الاطلاع في هذا الصدد على كتاب " الإنسان أحادي البعد" لعالم الاجتماع " هربرت ماركيوز".

[28] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2017، 172.

[29] باومان زيجمونت وليون ديفيد، المراقبة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017، بيروت، ص53.

[30] أنطوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة، بيروت، ص91.

[31] عزمي بشارة، تأملات في مسألة الهوية، المرجع السابق. ص20.

[32] سمير مرقس، ص27.

[33] أصدر كتاب يحمل اسم "طفولة ومجتمع" الذي انتقد من خلاله أعمال " فرويد" في مجال التحليل النفسي، بحيث ركز كثيرا على أدوار ووظائف العلاقات الاجتماعية والأشكال الثقافية في بناء الهويات الشخصية داخل المجتمعات.

[34] إليكس ميكشللي، " الهوية"، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم، دمشق، الطبعة الأولى، 1993، ص7.

[35] يقصد ب "الليبيدو" وفقا لنظرية التحليل النفسي تلك الطاقة الجنسية المتدفقة لدى الفرد باستمرار منذ طفولته.

[36] زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، ترجمة حجاج أبوجبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2018، ص20.

[37] سمير مرقس، مرجع سابق، ص30.

[38] زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، المرجع السابق، ص21.